نظريات العلاقات الدولية والحرب: مراجعة للأدبيات (1-2)

الأستاذ الدكتور أحمد محمد أبو زيد
قسم السياسة والعلاقات الدولية- جامعة أبردين، المملكة المتحدة
مدير الأبحاث بالمعهد الدولي للدبلوماسية الثقافية IICD
دبي، الإمارات العربية المتحدة
ahmed.abouzaid.16@abdn.ac.uk

مقدمة:

في حقل العلاقات الدولية ليس هناك من شك أن الحرب (التي تعرف على أنها معارك حربية بين طرفين دوليين، أعضاء في النظام الدولي يروح ضحية الأعمال العسكرية فيها ما يزيد عن الألف قتيل في العام) تعتبر أهم الظواهر الاجتماعية والانسانية، وأكثرها نفوذاً وإلحاحاً، فهي ظاهرة مثيرة للجدل بطبعها. سواء من ناحية محاولة تفسير أسباب أندلاعها، عواقبها، نتائجها.

وقد أظهرت دراسة معتمدة على المعلومات المستقاة من قاعدة بيانات برنامج "الارتباطات بين الحروب Correlates of War Project"، الذي أعتمد عليه مؤلفي كتاب "اللجوء الي الحرب" والذي يعتبر الجزء المكمل للعمل الكلاسيكي لعالمي السياسة "ميلفن سمول" و"ديفيد سينجر" "اللجوء للسلاح"، الذي وجد فيه كلا من ديفيد سينجر وميريديث ساركيس وفرانك ويمان، من خلال تحليلهم للبيانات خلال الفترة من 1816 وحتي 1997 أن هناك 401 حرباً قد وقعت في العالم. (منها 79 حرباً بينية، 108 حرباً خارج النظام، 214 داخل الدول). وحسب آخر البيانات المتاحة (2007) في برنامج "الارتباطات بين الحروب" فإنه يوجد في العالم حاليا، حوالي 655 حرباً (منها 95 حروبا بينية، 163 حروباً خارج النظام، 335 حرباً داخل الدول، 62 حرباً بين فاعلين دوليين غير رسميين)، ثم إنه خلال الفترة من (1816-2017) كان معدل اندلاع الحروب السنوي 3.4 حرباً كل عام، ولم يكن هناك سوى أثنا عشر عاماً اختفت فيها الحروب خلال هذه الفترة[1].

[1]. *Meredith Sarkees and Frank Wayman (eds.): "Resort to War 1816-2007". (Washington D. C.: CQ Press, 2010), pp. 451-477, 562.*

الإشكالية:

إن أغلب الجدل الأكاديمي بين المدارس الفكرية في حقل العلاقات الدولية طوال القرن العشرين (وربما عبر التاريخ)، كان يدور حول هذه الظاهرة، وحول زيادة احتمالية وتيرة وقوعها والقائلين بتراجعها وندرة حدوثها. بداية من عالم السياسة البريطاني إدوارد كار (Carr) في كتابه المرجع "أزمة العشرون عاماً Twenty Years Crisis" وجدله النظري مع أتباع المدرسة المثالية والماركسية هو "دراسة الأوضاع والأزمات الدولية في فترة ما بين الحربين العالميتين 1939-1945"[1]. وصولا إلى كتاب"ه. مورغانتو" السياسة بين الأمم Politics Among Nations" وجدله النظري مع أتباع المدرسة القانونية في دراسة العلاقات الدولية، هو محاولة تقديم تفسير وتحليل عواقب ما حدث في السنوات الست، التي اشتعل العالم فيها (1939-1945) ومحاولته استشراف مستقبل العالم بعد الحرب العالمية الثانية[2]. وهو ما ينطبق على "كينيث والتز" (Waltz) عندما نظر لظاهرة الحرب بصورة منهجية خلال الخمسون عاماً الأخيرة في كتابه "البشر والدولة والحرب Man, State and War". الذي سعي خلاله (والتز) لتقديم نظرية علمية، تفسر أسباب نشوء وظهور الحروب في التاريخ البشري. وأعاد الكرة في عام 1979 عندما أصدر كتابه المرجعي الأشهر في العلاقات الدولية ''نظرية السياسة الدولية Theory of International Politics'' الذي حاول فيه تقديم نظرية عامة لحقل العلاقات الدولية. متخذا من افتراض أن الحروب والصراعات بين القوى العظمي، وبما تحدثه من تغييرات هيكلية Structural Changes على بنية النظام الدولي، تعتبر الظاهرة الأولى بالدراسة إن أردنا فهم ظواهر العلاقات الدولية[3]، ويقود كل هذا الجدال لاشكالية فهم الحرب من وجهة نظر كبرى النظريات في العلاقات الدولية للحرب وكيفية نشوئها وانتهائها.

في سبيل مناقشة هذه الإشكالية تطرح الدراسة مجموعة من الأسئلة (النظرية بالأساس):

---

[1]. E. H. Carr: "The Twenty Years Crisis: An Introduction to International Relations". (London: Palgrave, 2001).

[2]. Hans Morgenthau: "Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace". (New York: Alfred Knopf, 1973).

[3]. Kenneth Waltz: "Man, the State, and War: A Theoretical Analysis". (New York: Columbia University Press, 1959). Kenneth Waltz: "The Theory of International Politics". (Reading: Mass; Addison-Wesley, 1979).

ما المقصود بالحرب وكيف يتم تعريفها من منظور العلاقات الدولية، وماهي محددات وضوابط هذه التعريفات؟ 2) هل الحرب ظاهرة بشرية/اجتماعية تم تشكيلها اجتماعيا أو ثقافيا Socially Constructed أم أنها نزعة بشرية فطرية جلب عليها البشر منذ بدأ الخليقة؟ 3) ماهية الأسباب التي تؤدي لبزوغ الحروب ونشوبها بين المجتمعات البشرية والدول، وأخيراً 4) لماذا تنشب الحروب وتختفي من وجهة نظر نظريات العلاقات الدولية الرئيسية؟

فرضيات الدراسة:

تنطلق الدراسة من فرضيتان أساسيتان هما:

الأولى تقول بأنه على الرغم من الاتفاق الواسع بين مختلف المدارس الفكرية في العلاقات الدولية حول أهمية دراسة الحرب، إلا أنهم أختلفوا وتبيانت أطروحاتهم حول الكيفية التي يجب أن تُدرس بها الحرب، بمعني هل الحرب يتوجب النظر إليها بالأساس باعتبارها ظاهرة سياسية وعسكرية فقط؟ أم أيضا كظاهرة اجتماعية واقتصادية وتاريخية وأنثربولوجية وثقافية...؟. وهو ما ينطبق على اختلاف الباحثين على تفسير وشرح دوافع ومحفزات اندلاع الحروب، وأسباب تراجعها وإنزواءها.

الفرضية الأخرى تقول، بأنه من الصعب (أو من غير المجدي علي وجه الدقة) الاقتصار على منهج أحادي البعد Unilateral أو اختزالي Reductionist عند التصدي لدراسة ظاهرة غاية في التعقيد والتشبيك والتداخل مثل الحرب، (بكافة أنواعها وأشكالها) سواء لطبيعتها المركبة من جانب، أو بسبب حالات الاعتماد والتواصل البينية (Intercommunicativity) التي باتت تتصف وتتسم بها العلاقات الدولية خلال العقود الخمسة الماضية، بفعل ثورة الاتصالات والمعلومات، والتي جعلت الحدود الفاصلة بين القضايا الداخلية والخارجية للدولة أكثر نفاذية (Permeable)، وثالثاً، بسبب التغييرات النظمية التي جرت في بنية النظام الدولي منذ نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، وما تبعه من تغيير جذري في طبيعة ونمط العلاقات بين الوحدات الدولية، بصورة أمست معها كافة أشكال العنف والحرب مرتبطة بشكل أو بآخر، كما هي إشكالية بنفس الدرجة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من غياب الاهتمام الأكاديمي والبحثي العربي بالجدالات الراهنة في دراسة العلاقات الدولية ودراسات الصراع الدولي بصورة عامة، وعن الحرب علي وجه الخصوص. حيث قام المؤلف بمراجعة للدوريات والمجلات العلمية المتخصصة،

وشبه المتخصصة في مجال العلوم السياسية والعلاقات الدولية العربية خلال السنوات العشر الماضية، ولم يتوصل إلا لعدد من المقالات (الصحفية والالكترونية) التي تناولت بالعرض أو بالنقد لهذا الجدل العلمي، وخصوصاً حول مؤلفات علمية رصينة مثل مؤلفات جاك ليفي، عازار جات، جوشوا جولدشتين، وجون ميللر وستيفن بينكر. وخصوصاً هذا الأخير، الذي أصدر كتاباً مرجعياً (صدر في 2011) اعتبره الكثير من علماء العلاقات الدولية الغربيين رفيعي المستوى مثل روبرت جيرفيس وعازار جات نموذجاً "للتميز والتفرد الأكاديمي الحقيقي". واعتبره البعض أهم ما كتب في هذا الموضوع منذ عقود، إن لم يكن الأفضل على الاطلاق. كما أنه أصبح واحداً من أكثر الكتب مبيعاً وشعبية في الولايات المتحدة الأمريكية طبقاً لصحيفة النيويورك تايمز[1].

1- ماهية الحرب:

يتفق أغلب علماء وخبراء ودارسي العلاقات الدولية من كافة المدارس الفكرية المتخصصة في دراسة العلاقات الدولية (الواقعية والليبرالية والبنائية، إلى جانب النظريات الأخرى كالاشتراكية والنقدية) على أن الهم الأساسي والهدف الأسمى من وراء دراسة العلاقات الدولية، هو ''تجنب الحرب Avoiding War وتحقيق السلام Peacemaking''، حتى وإن أختلفت طرق ووسائل التحليل وسبل تحقيق ذلك.

تعريف الحرب:

يُعرف كينيث والتز (Waltz) الحرب على أنها: "الاستخدام المنظم للعنف 'السلاح' بين طرفين دوليين مستقلين". وهي عند كلا من سمول وسينجر (Small and Singer) تعني: "معارك حربية بين طرفين دوليين، أعضاء في النظام الدولي يروح ضحية الأعمال العسكرية فيها ما يزيد عن الألف قتيل". وعند عالم السياسة جاك ليفي (Levy) فإن الحرب تعني: "استخدام العنف المنظم علي نطاق واسع Large-Scale Violence بين الوحدات السياسية"[2]. أما ليفي وتومبسون، فيعرفانها على أنها "حالة من العنف المستمر

---

[1]. *Jack Levy and William Thompson: "Causes of War". (New York: Wiley-Blackwell, 2010). Azar Gat: "War in Human Civilization". (New York: Oxford University Press, 2006). Steven Pinker: "The Better Angels of Our Nature: Why Violence Has Declined". (New York: Viking, 2011). Joshua Goldstein: "Winning the War on War: The Decline of Armed Conflict Worldwide". (New York: Dutton, 2011).*

[2]. *Kenneth Waltz: "Man, the State, and War: A Theoretical Analysis". (New York: Columbia University Press, 1959). David Singer and Melvin Small: "The Wages of War, 1816-1965: A Statistical Handbook". (New York: Wiley, 1972). Jack Levy: "War in the Modern Great Power System: 1495-1975". (Lexington: University Press of Kentucky, 1983).*

والمنظم بين المنظمات السياسية المصحوب بوقوع تغيرات في البنية المهددة، ونظم التسلح، وطبيعة المنظمات العسكرية والاقتصاد السياسي لهذه الوحدات والمنظمات السياسية"[1]. أما نيكولاس سامبينز (Sambanis) فيعرفها على أنها "مواجهة عنيفة/مسلحة بين جماعات منظمة، واحدة منها على الأقل تمثل حكومة وطنية، ينجم عنها عدد من القتلي جراء هذه المواجهة"[2].

من جانبها، عرفت عالمة الانثروبولوجيا مارجريت ميد الحرب في المجتمعات البدائية على أنها "صراع معترف به بين مجموعتين كجماعات، تضم كلا منهما جيشاً (حتى لو كان هذا الجيش يتكون من خمسة عشراً قزماً) في ساحة للنزال، وقتل أعضاء أو جنود من المجموعة الأخرى". والحرب بهذا المعنى تعتبر اختراعاً مثل أي اختراع قام به البشر لتنظيم حياتهم، مثلها في ذلك مثل الكتابة والزواج وطهي الطعام بدلاً من أكله نيئاً ونظم المقاضاة أو دفن الموتى بدلاً من حرقهم، وغيرها من الاختراعات الثقافية[3].

ويعتبر جون موللر بأن الحرب، وإن كانت ظاهرة واحدة كما يترأى للناظر إليها (من الخارج)، إلا أن تعريفها يختلف حسب مستوى التحليل والأطراف المنخرطين فيها (من الداخل)، وعرفها موللر على أنها "صراع مسلح بين الحكومات". وهذه الحرب تختلف في حجمها ونطاقها، فهناك حروب دولية أو عالمية، وهناك حروب بين الحكومات الوطنية والجماعات المحلية المسلحة في حال الحرب الأهلية، إلا أن الجامع بين كافة أشكال الحروب هي أن "ضحاياها يتجاوز الألف شخص كل عام، كضحايا مباشرين جراء القتال"[4].

وطبقاً لهذه التعاريف (السائدة والمقبولة بين أغلب باحثي العلاقات الدولية ودراسات الحرب) فإن مفهوم الحرب يتشابه مع عدد من المفاهيم، وهو الأمر الذي تسبب في مشاكل منهجية (انطولوجية وابستيمولوجية) واستدلالية، وبالتالي في النتائج التي توصلت إليها عدد من الدراسات المختصة بظاهرة الحرب، لعدم وضوح التفرقة والاختلاف في ما هو المقصود بهذه الظاهرة، كما سنرى بالتفصيل لاحقاً.

---

[1]. *Jack Levy and William Thompson: "Causes of War". (New York: Wiley-Blackwell, 2010), p. 5.*

[2]. *Nicholas Sambanis: "What Is Civil War? Conceptual and Empirical Complexities of an Operational Definition". Journal of Conflict Resolution, Vol. 48, No. 6 (December 2004), p. 814-15.*

[3]. *Margaret Mead: "Warfare is only an invention–Not a biological necessity". Asia, No. 15 (1940), p. 402.*

[4]. *John Mueller: "War has almost Ceased to Exist: An Assessment". Political Science Quarterly, Vol. 124, No. 2 (2009), p. 298.*

ولعل من أهم المفاهيم التي تسببت في تشويش الرؤية والتباين في الاستنتاجات والخلاصات هي عدم توضيح الاختلاف بين مفهوم الحرب، ومفاهيم مثل الصراع (Conflict) الذي يعرف (طبقاً لتعريف عالم الصراع روبرت غار (Gurr) على أنه: "تفاعلات قسرية علنية Overt and Coercive Interactions يريد فيها طرفين أَو أكثر تَأكيد فَرْض إرادتهم على الآخرين"[1]، أو حتى الصراع المسلح (Armed Conflict) الذي يعرف بأنه "حالة من التنافس المتعارض Contested Incompatibility بين الحكومات، أو في المناطق التي تسيطر عليها، التي يتم استخدام القوة العسكرية فيها بين طرفين، ما يؤدي على الأقل إلى خمسة وعشرون قتيلاً خلال عام"[2].

كما يفرق بيتر فالنيشتين (Wallensteen) بين ثلاثة أنواع من الصراعات المسلحة؛ هي الحرب في جانب، ونوعان أخران من الصراعات المسلحة، إحداها أحادي الجانب والآخر ثنائي؛ في حالة عدم وجود قتال مسلح بين طرفين، فإن هذا الصراع يطلق عليه "صراع أحادي الجانب One sided violence" مثل حدوث إبادة جماعية أو تطهير عرقي أو إرهاب. مقارنة مع العنف الثنائي الجانب Two sided violence الذي يتوجب وقوع أحداث مميتة وقتالية كأعمال الحرب[3]. بينما الحرب أكبر وأوسع نطاقاً، وأكثر فتكاً وتوحشاً من بقية أشكال العنف المسلح، كما أن القائمين والمستهدفين والمنخرطين فيها يختلفون عن بقية أشكال الصراع المسلح[4]. (أنظر الجدول رقم 1)

---

[1]. *Ted Robert Gurr: "Handbook of Political Conflict: Theory and Research". (New York: Free Press, 1980), p. 1.*

[2]. *Peter Wallensteen and Margareta Sollenberg: "Armed Conflict 1989–2000". Journal of Peace Research, Vol. 38, No. 5 (September 2001), pp. 641-642. Natasha Balendra: "Defining Armed Conflict". Cardozo Law Review, Vol. 29, No. 6 (2008), pp. 2468-2470.*

[3]. *Nils Petter Gleditsch, Peter Wallenstein, Mikael Eriksson, Margareta Stollenberg, and Håvard Strand: "Armed Conflict 1946–2001: A New Dataset". Journal of Peace Research, Vol. 35, No. 5 (September 2002), pp. 615–37.*

[4]. *Peter Wallenstein (ed.): "States in Armed Conflict: 1988". (Oslo: Department of Peace and Conflict Research, Uppsala University, 1989).*

جدول رقم 1: أشكال الصراعات المسلحة في العالم

	صراع مسلح من الدول	عنف احادي الجانب	عنف الفاعلين غير الرسميين
من؟	الحكومات، والجماعات المتمردة	الحكومات والجماعات المنظمة، مثل جماعات المتمردين	الجماعات المنظمة مثل الجماعات المتمردة والطائفية
ماذا؟	قتلى جراء المعارك	عنف ضد مدنيين مثل المجازر أو الأبادة الجماعية	عنف طائفي مثل العنف بين الجماعات المتمردة

المصدر:

Erik Melander: "The UCDP Armed Conflict Definition". The Uppsala Conflict Data Program (UCDP) (Department of Peace and Conflict Research, Uppsala University, 2016), p. 11. Available at:
http://www.undp.org/content/dam/norway/img/sdg-16-oslo-2016/Erik%20Melander.pdf

2- كيف تنشب الحروب ومتى تتراجع؟ مراجعة للأدبيات:

الحرب في جوهرها، ظاهرة متعددة الأبعاد والأصول، تجد جذورها في حقول معرفية مختلفة مثل علم النفس، العلوم الدينية، الفلسفة والانثربولوجيا الثقافية والجغرافية وعلم التاريخ وغيرها[1]. حيث تطور الاعتقاد والإيمان بالحرب عبر هذه المجالات المعرفية. وساد الافتراض بين علماء العلاقات الدولية بأن الحروب بين الدول، وتحديداً الحروب بين القوى الكبرى، تختلف عن غيرها من أنواع العنف، بما في ذلك الحروب بين القوى الصغيرة، والحروب بين القوى الكبرى والقوى الصغيرة، والحروب داخل الدول وخارجها، وهو ما جعل التركيز يتم على دراسة الحروب بين الدول بصورة منفصلة عن بقية الحروب الأخرى[2].

عبر التاريخ، كانت الحرب تقوم لعدد من الأسباب التي ظلت مستمرة من عصور ما قبل التاريخ وحتى يومنا هذا، ومن هذه الأسباب (1) العدوان الانساني الغريزي، (2) الانتقال الثقافي لسلوكيات سفك الدماء، (3) المصالح الاقتصادية، (4) مشاعر الكراهية الأثنية والعرقية، (5) الصراع على الأراضي (6) الادعاءات الدينية والايديولوجية

[1]. *James Hillman: "A Terrible Love of War". (New York: Penguin Press, 2004), p. 215.*
[2]. *Meredith Sarkees: "What do we know about War?" pp. 451-477, in: Meredith Sarkees and Frank Wayman (eds.): "Resort to War 1816-2007". (Washington D. C.: CQ Press, 2010), p. 561.*

بالتفوق على الآخرين، (7) التحرر من الطغيان الداخلي أو الخارجي، (8) الدفاع عن الآخرين من التعرض للهجوم أو للغزو من قبل الآخرين وغيرها[1].

وعلى الرغم من الاتفاق حول أهمية دراسة الحرب، كظاهرة انسانية واجتماعية، إلا أن الدارسين لهذه النظرية اختلفوا على تفسيرها وشرح أسبابها، فمن جانب ترى النظريات النفسية أن الحروب على امتداد التاريخ البشري، كانت تعكس الصراع داخل النفس البشرية بين دوافع الحماية والدفاع من جانب، وغريزة التخريب والهدم من ناحية أخرى[2]. حيث يرى الواقعيين والمناصرين للحرب، بأن هذه الظاهرة قد ظُلمت تاريخياً وتعرضت للإجحاف والتشويه. وفي رأيهم فإن الحرب لم تكن شيئاً سلبياً، وإنما السبب في جعلها تبدو هكذا، يرجع لمن اسموهم "صناع الخرافات Mythmakers" الذين ساعدوا على تصوير الحرب في صورة مانوية سيئة (أبيض أو أسود)، بغض النظر عن التصور المترسخ في عقيدة البشر منذ القدم، بأن الحرب كانت دوماً ضرورة من أجل غايات أسمى، وتتطلب أن نكون أقسى من الذين نقاتلهم[3].

من جانب آخر، جادل بعض علماء الاجتماع بأن عامل الظروف والعوامل الاجتماعية هو الذي يؤثر على كل البشر، وبأن السلوك البشري ما هو إلا نتاج الظروف والمتطلبات الاجتماعية، التي في جوهرها تساهم في زيادة السمات البيولوجية للانسان[4]. ومن أشهر القائلين بذلك عالمة الانثربولوجي الألمانية مارجريت ميد، والصحفي المتخصص في الحروب جون هورجان، اللذان جادلا بأن الحرب ليست نزعة بيولوجية أو حتى واجب اقتصادي، وإنما هي بالأساس اختراع ثقافي[5]. وبأن العنف والحرب ليس فطرة الانسان

---

[1]. *Geoffery Blainey: "The Causes of War". (New. York: The Free Press, 1973). Stephen Van Evera: "Causes of War: Power and the Roots of Conflict". (Ithaca; New York: Cornell University Press, 1999). Jack Levy and William Thompson: "Causes of War". (New York: Wiley-Blackwell, 2010). Jack Levy: "Theories and Causes of War", pp. 13-33, in Christopher Coyne, Rachel Mathers (eds.): "Handbook on the Political Economy of War". (New York: Elgar Publishing, 2011). Matthew Jackson and Massimo Morelli: "The Reasons for Wars: An Updated Survey", pp. 34-57, in Christopher Coyne, and Rachel Mathers (eds.): "Handbook on the Political Economy of War". (New York: Elgar Publishing, 2011).*

[2]. *Chris Hedges: "War Is a Force That Gives Us Meaning". (New York: Public Affairs, 2002), p. 3.*

[3]. *Hedges: "War Is a Force....", op, cit, pp. 10-11.*

[4]. *James Schellenberg: "The Biology of Human Aggression", in: Melvin Small and David Singer (eds.): "International War: An Anthology". (Chicago: Dorsey Press, 1989), p. 167.*

[5]. *John Horgan: "The End of War". (San Francisco, CA: McSweeney, 2012). Margaret Mead: "Warfare is only an invention–Not a biological necessity". Asia, No. 15 (1940), pp. 402–*

الطبيعية، كما يقول أنصار الاتجاه القائل بأنه جزء أصيل من الطبيعة البشرية[1]. حيث جادل هورجان بأن "الحرب عبارة عن ظاهرة أو ممارسة ثقافية، ولا يمكن للبشر الاقلاع عنها ونبذها في نهاية المطاف، إذا واصلنا إصابة أنفسنا بفيروسها"[2]. وهو نفس الاستنتاج الذي توصلت إليه مارجريت ميد في دراستها الشهيرة التي نشرت في العام 1940. حين جادلت بأن الحرب ما هي إلا "عادة بزغت في عصور ما قبل التاريخ، وبدأت في الانتشار بعد ذلك مثل الفيروسات"[3]. ومع تقدم المدنية والتحضر يبدو أن معدل انتشار هذا الفيروس قد تراجع، ويبدو أن دولاً مثل فرنسا والمانيا يبدو أنها قد تعافت تماماً منه، ولكن دولاً أخرى متأخرة (مثل الصين وروسيا وغيرهما) مازالت تعاني من آثاره[4].

وبناء على ذلك تقول ميد بأن البشر في حاجة للاعتراف بالعيوب والأضرار التي تسببت فيها الحرب (كاختراع ثقافي) وبضرورة إيجاد بديل (اختراع) آخر لها. مثل تكثيف الدعاية ضد الحرب، توثيق الأهوال والخسائر الفادحة لها، وتوضيح مدى المعاناة التي تتسبب في إحداثها عند البشر، وأضرارها الاجتماعية بشكل عام. لأن مثل هذه الاجراءات والخطوات هي التي ستجعل البشر يدركون كم هي الحرب (كمؤسسة) معيبة[5].

إن ميد كانت صريحة في دعوتها لضرورة الاعتراف بأن الحرب كانت بالأساس اختراعاً ثقافياً، وبأن التطورات والاختراعات الجديدة يوماً بعد يوم ستجعل الحرب مجرد ظاهرة عفا عنها الزمن، مثلها مثل المحراث والعربات التي كانت تجرها الخيول، قبل اختراع الجرارات والمحاريث الميكانيكية والسيارات. وبأن التطور الذي جري ويجري على سلوكيات البشر وتصرفاتهم (تمدنهم) سيجعل أسلوب وسلوكيات مثل القتال واللجوء للعنف منبوذة، ويتم استبدالها بأساليب وسلوكيات أخرى. وهو التحول السلوكي الذي سيجعل من الحرب ظاهرة بالية ومنقرضة[6].

405.Daniel Honan: "The End of War". Available at: http://bigthink.com/re-envision-toyota-blog/the-end-of-war

[1]. Mark Cheney: "Is War a Virus or a Gene". Available at: http://bigthink.com/think-tank/is-war-a-virus-or-gene

[2]. Stephen Walt: "Are we becoming immune to war". Foreign Policy, (March 27, 2012). Available at: http://foreignpolicy.com/2012/03/27/are-we-becoming-immune-to-war/

[3]. Margaret Mead: "Warfare is only an invention–Not a biological necessity". Asia, No. 15 (1940), pp. 402–405.

[4]. Cheney: "Is War a Virus or a Gene", op, cit.

[5]. ibid.

[6]. op, cit, p. 405.

يرفض الكثير من الباحثين مثل هذا التفسير الثقافي. ويروا أن البشر يقاتلون بعضهم منذ وجودهم على الأرض، وليس كما يجادل ليفي وتومبسون، أنها عادة مكتسبة وجديدة عليهم ظهرت في ظرف تاريخي معين[1]. فالحرب لم تكن اختراعاً ثقافياً. ففي المجتمعات البدائية وما قبل الزراعة كان القتال يتمحور حول مصادر المياة العذبة اللازمة للحفاظ على بقائهم في هذه المناطق. وكذلك حول مناطق الصيد. وكان العنف في هذه العصور أكثر دموية ووحشية، ومعدلات الموت كانت هائلة مقارنة بعدد السكان[2].

ويرجع جزء كبير من الاختلاف في التصورات حول الاتجاهات في الحروب، أو الهدوء النسبي للنظام الدولي، إلى الطبيعة المجزأة لدراسات الصراع الدولي، حول التركيز على نوع واحد فقط من الحروب (الحرب بين الدول أو الحروب الأهلية)، أو أن يتم فقط التركيز على تحليل دور الجهات الفاعلة في الحروب[3].

وهو الأمر الذي دفع باحثان للقول نتيجة هذا الخلاف، بأنه لم يعد من المقبول استمرار تبرير التركيز فقط على دراسة الحروب بين الدول. مجادلين بأن الحروب الداخلية/المحلية لا تختلف كثيراً عن الحروب الدولية أكثر من الحروب الأهلية التقليدية، وهو الأمر الذي دفع البعض لتسمية هذا النوع من الحروب بأسم "الحروب الغير أهلية أو الهمجية War Uncivil"[4]. ومن ناحية أخرى، وكما جادل مونتي مارشال، بأن التشعبات الكثيرة التي يقول بها أنصار الاختلاف بين أشكال وصور الحروب، أمست غير قابلة للاستمرار والسبب في ذلك، هو أن التطورات والتغيرات التي جرت في النظام الدولي خلال العقود الثلاثة الماضية جعلت الحدود الفاصلة بين القضايا الداخلية والخارجية للدولة أكثر نفاذية (Permeable)[5].

3- لماذا تنشب الحروب وكيف يتم تجنبها؟

ركزت أدبيات العلاقات الدولية في دراسة الحرب على أتجاهات ثلاثة هي: "سبب قيام الحروب" أو متى (When) تنشب الحروب، وهو التيار الذي يتسيده الواقعيون

---

[1]. *Azar Gat: "Is War declining - and Why?" Journal of Peace Research, Vol. 50, No. 2 (March 2013), p. 2.*

[2]. *ibid.*

[3]. *Ted Robert Gurr: "Why Men Rebel". (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1970). Manus Midlarsky: "Rulers and Ruled: Patterned Inequality and the Onset of Mass Political Violence". American Political Science Review, Vol. 82, No. 2 (June 1988), pp. 491–509.*

[4]. *Donald Snow: "Uncivil Wars: International Security and the New Internal Conflicts". (Boulder, Colo.: Lynee Rienner, 1996), pp. 1–2.*

[5]. *Monty Marshall: "Third World War System, Process, and Conflict Dynamics". (Lanham: MD; Rowman & Littlefield Publishers, 1999), p. 19.*

والمدرسة الواقعية بوجه عام. والثاني هو "أثر الحرب" أو ما الذي تسببه الحروب (What) وما هي عواقبها، وهو مجال يبرع فيه ويتسيد الليبراليون والأشتراكيون دراسته. وثالثاً: "لماذا الحرب" أو كيف ولماذا يلجأ البشر إلى الحرب (Why) وهو ما يحاول البنائيون والنقديون التركيز عليه من خلال تركيزهم على دراسة وتحليل الجوانب المتعلقة بالقيم والمعتقدات، والمعايير الاخلاقية للأفراد والجماعات والدول. مجادلين بأن الحروب والتنافس والفوضى ليست كما ذهب الواقعيون باعتبارها سمة ذاتية للنظام الدولي، ولكنها من صنع الأفراد والجماعات والدول أنفسهم، يتم تشكيلها عبر بوتقة التفاعل والتداخل والتطور الاجتماعي والتاريخي والثقافي والسياسي[1].

لقد تعددت التصورات والتفسيرات التي ذكرتها نظريات العلاقات الدولية الرئيسية حول ظاهرة الحروب؛

بالنسبة للمدرسة الواقعية في دراسة العلاقات الدولية بفروعها المختلفة، فإن الحرب هي القاعدة المؤسسة للسياسة الدولية. لذا فهي دائمة وأبدية وحتمية الوقوع في نفس الوقت[2]. أما بالنسبة للمدرسة الليبرالية، فهي الأخرى تشمل عدد من وجهات المتعددة (مثل تلك التي تركز على الحقوق والمصالح والدور السلمي للتجارة، والمنظمات الدولية) تقدم هذه المداخل تفسيرات متباينة الي حد ما عن ظاهرة الحرب، إلا أنها تجتمع كلها تحت مظلة فرضية واحدة رئيسية تقول بأن "اندلاع الحروب يرجع بالأساس لوجود قادة تسلطيين ومستبدين لديهم ميول لاستخدام العنف ضد الاخرين، وبأنها ستنتهي عندما تكون كل المجتمعات البشرية قادرة علي انتخاب حكوماتها وقادتها بحرية"[3].

---

[1]. *Alexander Wendt: "Constructing International Politics". International Security, Vol. 20, No. 1 (Summer, 1995), pp. 71-81. Ted Hopf: "The Promise of Constructivism in International Relations Theory". International Security, Vol. 23, No. 1 (Summer 1998), pp. 171-200.*

[2]. *Michael Doyle: "Ways of War and Peace: Realism, Liberalism, and Socialism". (New York: Norton, 1997), p. 43. Kenneth Waltz: "Theory of International Politics". (Reading: Mass; Addison-Wesley, 1979). Robert Gilpin: "War and Change in World Politics". (New York: Cambridge University Press, 1981).*

[3]. *Doyle: "Ways of War and Peace...", op, cit. p. 206. Robert Keohane: "After Hegemony: Cooperation and Disorder in the world Political Economy". (Princeton: New Jersey; Princeton University Press, 1984). Andrew Moravcsik: "Liberal International Relations Theory: A Scientific Assessment", pp. 159-204, in Colin Elman and Miriam Fendius Elman (eds.): "Progress in International Relations Theory: Appraising the Field". (Cambridge; Mass.: MIT Press, 2003).*

أما المدرسة البنائية، فتقول أن النمط الطبيعي للعلاقات بين الدول ليس الصراع الكامل أو السلام الدائم، وإنما التنافس السلمي الذي قال به الفيلسوف جون لوك. والحرب بالنسبة لهم تقع عندما يحدث الاختلاف بين الوحدات الدولية حول القواعد والقيم المنظمة للعلاقات الثنائية والجماعية فيما بينها، وهو ما يجعل النمط الهوبزي (الصراعي) هو السائد في النظام الدولي. ومادام هناك حالة من الاتفاق والتوافق حول هذه القواعد والقيم والمعايير الدولية السائدة في المجتمع الدولي، فإن النمط الكانطي (السلمي) سيكون هو السائد بين كافة وحدات النظام الدولي، وهي عندهم ليست فقط الدول القومية، ولكن الأفراد والجماعات والمنظمات الدولية وكافة الفاعلون الغير رسميون[1]. المدرسة الرئيسية الأخرى في العلاقات الدولية (والتي يعتبرها البعض أقرب إلي الليبرالية منها للواقعية) هي المدرسة الاشتراكية، التي تشدد علي أهمية عوامل مثل العلاقات الاقتصادية بين الدول والطبقات، وتجادل بأن الحرب بالأساس هي نتاج لعملية التوسع الرأسمالي[2].

المدرسة الواقعية:

يقصد بالمدرسة الواقعية في دراسة العلاقات الدولية، الاتجاه النظري الذي يرتكز على اعتبار الدولة القومية هي وحدة التحليل الرئيسية في السياسة الدولية. وينظر للنظام الدولي علي كونه نظاماً فوضوياً، لا توجد به سلطة أعلى من سلطات الدولة الوطنية. وسمته الأساسية هي الصراع (وليس السلام)، وبسبب الطبيعة الفوضوية لهذا النظام، فإن القوة (بمختلف أشكالها) تعتبر الأداة الرئيسية لتحقيق غايات الدول التي ترتكز بالأساس في تحقيق الأمن والاستقرار، وتوسيع نطاق قوة الدولة[3].

تمتد جذور هذه المدرسة الفكرية لأكثر من ثلاثة ألاف عام، حيث يعتقد الكثير من مؤرخي ودارسي تاريخ العلاقات الدولية، أن المفكر الأغريقي ثوسيديديس (صاحب كتاب الحروب البلوبونيزية) هو المفكر الواقعي الأول في التاريخ. وإن كانت بعض الدراسات الحديثة تقول بأن مبادئ السياسة الواقعية أقدم من الأغريق، حيث يعتبر البعض المفكر الصيني صن تسو أول المفكرين الواقعيين، والبعض الآخر يقول بأن سياسات القوى

---

1. Alexander Wendt: "Social Theory of International Politics". (New York: Cambridge University Press 1999).

2. Doyle: "Ways of War and Peace...", op, cit, pp. 321-322.

3. Kenneth Waltz: "Theory of International Politics". (Reading: Mass; Addison-Wesley, 1979). John Mearsheimer: "The Tragedy of Great Power Politics". (New York: Norton, 2001).

كممارسة، تكاد تكون قدم المجتمعات الزراعية التي لحقت مجتمعات الصيد والقنص في مراحل ما قبل التاريخ[1].

أما الواقعية المعاصرة، فهناك اتجاهان رئيسان يشار اليهما عند الحديث عن الاتجاه الواقعي في العلاقات الدولية. الواقعية الكلاسيكية التقليدية، والتي تشمل أغلب مفكري السياسة الدولية منذ ثوسيديديس (395 ق.م - 460 ق.م) مروراً بنيكولا ميكافيللي (1469-1527) ثم توماس هوبز (1588- 1679) وكارل فون كلاوفيتز (1780- 1831) رينهولد نيباور (1892-1971) وايه اتش كار (1892 - 1982) ريموند أرون (1905- 1983) وصولاً إلي هانز مورجانثو (1904- 1980). الذي يعتبر رائد الواقعية التقليدية في القرن العشرين. أما التيار الرئيسي الأخر في الاتجاه الواقعي فهو الواقعية الهيكلية، أو الواقعية الجديدة كما أُتفق على الاشارة إليها في الأدبيات العلمية. وتيار الواقعية الجديدة ظهر مع عالم السياسة الأمريكي الأشهر كينيث والتز (2013 - 1924)، وتحديداً مع اصداره كتاب "نظرية السياسة الدولية (1979) الذي يعتبر بمثابة أنجيل الواقعيين الجدد.

بين هذان التياران وجدت روافد فرعية عديدة. أختلفت بالأساس حول موضوع رئيسي وهو الحرب. أو بمعني أصح، ما الدوافع وراء انخراط الدول في الحروب؟ أو ما الذي يدفعها لذلك؟ بداية من الواقعيون الكلاسيكيون الجدد، الدفاعيين والهجوميين منهم (مثل والت، ولفورث، زكريا، جدعون روز، كريستنيسن) والواقعيين الدفاعيين (مثل والتز، فان ايفيرا، جيرفيس، جرايشيو، سنايدر، كوبلاند) والواقعيين الهجوميين (مثل ميرشايمر، جيلبين، شويللر، وزكريا وغيرهم). وهي إن كانت متباينة ومختلفة في تفسيرتها لبعض ظواهر السياسة الخارجية، إلا أن اتباعها متفقين علي مجموعة من المقولات العامة[2].

---

[1]. *Benjamin Frankel (ed.): "Roots of Realism". (London: Frank Cass, 1996). Hartmut Behr: "A History of International Political Theory: Ontologies of the International". (New York: Palgrave Macmillan, 2010). Martin Griffiths, Steven Roach, and Scott Solomon (eds.): "Fifty Key Thinkers in International Relations". (New York: Routledge, 2009). Paul Wikison: "International Relations: A Very short Introduction". (New York: Oxford University Press, 2007). Kenneth Thompson: "Masters of International Thought". (Baton Rouge: Louisiana State University Press, 1980). Herbert Butterfield and Martin Wight (eds.): "Diplomatic Investigations: Essays in the Theory of International Politics". (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1966). WJ Korab-Karpowiez: "Political Realism in International Relations", in E Zalta (ed.): "Stanford Encyclopedia of Philosophy". Summer 2013 ed. Available at: http://plato.stanford.edu/archives/sum2013/realism-intl-relations/*

[2]. *Michael Brown, Owen Coté Jr., Sean Lynn-Jones, and Steven Miller (eds.): "Offense, Defense, and War". (Cambridge; MAS: MIT Press, 2004).*

حيث يُجمع الواقعيين علي أن النظام الدولي منذ بزوغ الدول ـ القومية عقب صلح ويستفاليا 1648، وربما كما يرى البعض منذ الحروب البلوبونيزية بين دول ـ المدينة الاغريقية (أثينا وأسبرطة وغيرهما) كان ومازال (1) نظام فوضوي، أي لا تتواجد فيه سلطة أعلى من الدول نفسها تمتلك حق الوصاية وتوجيهها وفرض إرادتها على الأخرين. وبأن هذا النظام الفوضوي (2) ذاتي المساعدة، أي أن الدول تعتمد على أنفسها في توفير احتياجاتها الامنية والدفاعية اللازمة للحفاظ على أمنها ووجودها. (3) هذا السعي من أجل البقاء هو المحرك الرئيسي لسلوكها الخارجي تجاه بقية الوحدات، والاعضاء الاخرين الموجودين في هذا النظام، وعليه (4) فإنها تسعى جدياً من أجل تعزيز وتوسيع نطاق أمنها وأستقرارها الوطني. وهي في سبيلها لتحقيق ذلك فإنها (5) تنتهج أسلوباً عقلانياً راشداً، فهي بالأساس فاعل عقلاني، تخضع سلوكياتها لعمليات وحسابات (المكسب والخسارة) وليس بصورة عشوائية أو غير منتظم[1].

لماذا تنشب الحروب؟

يرى الواقعيين أن أسباب وسلوكيات وتوجهات مثل الاستيلاء علي الأراضي، الغزو، الخطأ في الادراك والحسابات، النزعات الايديولوجية والدعاوي القومية والتوسع الاقتصادي، كانت سبباً رئيسياً في اندلاع الحروب عبر التاريخ[2]. حيث كان الصراع على الاراضي والاقاليم المصدر الرئيسي للصراع والحروب، وكانت سياسات القوة (Realpolitik) هي الوسيلة الرئيسية لحل هذه النزاعات. وتعني سياسات القوة "زيادة الشعور بعدم الأمان والعداء، التي تدفع بالأطراف المتنازعين للتشدد في معاملاتهم مع بعضهما البعض"[3].

---

[1]. *Tim Dunne and Brian Schmidt: "Realism", in Tim Dunne, Milja Kurki, and Steve Smith, (eds.): "International Relations Theories: Discipline and Diversity". (Oxford: Oxford University Press, 2006), pp. 161-183. John Mearsheimer: "Structural Realism", in Dunne, Kurki, and Smith, (eds.): "International Relations Theories …", op, cit, pp. 71-88.*

[2]. *Azar Gat: "War in Human Civilization". (New York: Oxford University Press, 2006). Stephen Van Evera: "Causes of War: Power and the Roots of Conflict". (Ithaca: New York: Cornell University Press, 2001). Jack Levy and William Thompson: "Causes of War". (Chichester, UK: Wiley-Blackwell, 2010). Jack Levy: "War in the Modern Great Power System, 1495-1975". (Lexington: University Press of Kentucky, 1983). Azar Gat: "So Why Do People Fight? Evolutionary Theory and the Causes of War". European Journal of International Relations, Vol. 15, No. 4 (December 2009), pp. 571-599. Andreas Wimmer and Brian Min: "From Empire to Nation-State: Explaining Wars in the Modern World, 1816-2001". American Sociological Review, Vol. 71, No. 6 (December 2006), pp. 867-897. Andreas Wimmer: "War". Annual Review of Political Science, Vol. 40 (2014), pp. 173-197.*

[3]. *John Vasquez: "The War Puzzle". (Cambridge: Cambridge University Press, 1993), p. 7.*

إلا أنه يتوجب القول بأن كل الدول لا/لم تنغمس أو تشارك في تأسيس أو تشكيل عملية، أو لعبة سياسات القوة، وبالتالي في الصراع أو الحروب الوحشية، ولكن بعض الدول نجحت في تحقيق السلام وحل صراعاتها، بدون الدخول في حرب كما يقول عالم السياسة جون فازكوز[1].

السبب الشائع عند الواقعيين لتفسير ذهاب الدول وانخراطها في الحروب، من وجهة نظر مدخل توازن الدولي السائد بين الواقعيين، يرجع لرغبتها في نشر وتعزيز قوتها الوطنية من ناحية، أو لتعزيز وتوسيع مصالحها الوطنية من ناحية أخرى[2]. وبأن المحدد الرئيسي للعلاقات بين الدول وللسلوك الدولي بوجه عام، هو شكل توزيع القدرات داخل بنية النظام الدولي. حيث اتفق أغلب الواقعيين على أن "السياسة الدولية مثلها مثل جميع أنواع السياسة، ما هي إلا صراعاً على القوة أو في سبيلها"[3]. وهو الصراع الذي يجعل امكانية اندلاع الحروب وارد بصورة دائمة، وبأن هذه الاحتمالية يمكن التوسط من أجل ايقافها عبر وسائل مثل توازن القوي والجهود الدبلوماسية[4].

أما جاك ليفي، فيرى أن الحرب ليس لها دافع واحد، ولكن عدة دوافع، منها التغير في طبيعة ومدى تأثير الاقتصاد السياسي، الذي كان له دوراً كبيراً عبر العصور في نشوب الحروب، فإلى جانب صعود الدولة والتجارة، فإن الحروب تتأثر أكثر ما تتأثر به، هو العوامل المادية والمؤسساتية (وليس الثقافية أو المثالية التي يركز عليها الليبراليون والنقديين) مثل الاقتصاد، التكنولوجيا، التنظيمات العسكرية والاستراتيجية، التهديدات الخارجية، والبنية الداخلية، وغيرها من العوامل[5].

كذلك، فقد وجد البعض أن الحرب قد اتسمت بمسارات عديدة، اختلفت عبر الزمان والمكان بسبب اختلاف مخاطر البيئة الخارجية والظروف البيئية، وأن مسارات هذه الحروب لم تكن خطية أو دورية، أو حتي بالضرورة مترابطة[6].

---

1. *op, cit, p. 158.*
2. *Seyom Brown: "The Causes and Prevention of War". (New York: St. Martin's Press, 1987), p. 49.*
3. *Hans Morgenthau: "Politics among Nations". (New York: Alfred A. Knopf, 1973), p. 27.*
4. *James Dougherty and Richard Pfaltzgraff Jr.: "The Realist Approach to International Conflict", in: Melvin Small and J. David Singer (eds.): "International War: An Anthology". (Chicago: Dorsey Press, 1989), p. 215.*
5. *Niles Petter Gleditsch (ed.): "The Forum: The Decline of War". International Studies Review, Vol. 15, No. (2013), p. 415.*
6. *op, cit, pp. 415-416.*

جملة القول، أن الواقعيون رغم اتفاقهم علي المبادئ العامة المحركة للسياسيات الدولية (Principle Dynamics) أي دراسة القوى والمحركات والقوانين الفاعلة التي تشكل وتفسر سلوك الدول، وتحركاتها في النظام الدولي، إلا أنهم أختلفوا في تحديد الأسباب والدوافع التي تدفع الدول للانخراط في ظاهرة الحرب.

المدرسة الليبرالية:

عادة ما يشار للمدرسة الليبرالية في دراسة العلاقات الدولية، على أنها "المدرسة المثالية" التي تنظر للسياسة الدولية باعتبارها "مجتمع من الدول الملتزمة والمرتبطة بقواعد عامة، وممارسات واعراف وقيم مشتركة"[1]، وبأن الصراعات داخل هذا المجتمع، يمكن أن تحل عبر آليات مثل القانون الدولي، تحجيم سباقات التسلح، الدبلوماسية المفتوحة، نشر الديمقراطيات، وعبر المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وغيرهما.

مقابل تركيز الواقعية على دراسة الدول القومية وسلوكها الخارجي، فإن الليبرالية تشدد على دراسة العلاقة بين الدولة والمجتمع State-Society Relation وبين التداخل والتقاطعات بين السياقات المحلية والخارجية التي تحيط بالدول، التي يكون لها تأثير كبير على سلوكها الخارجي في السياسة الدولية؛ حيث بدء جلياً الآن مدى تأثير الافكار والمصالح والمؤسسات الاجتماعية على سلوك الدولة، كونها هي التي تشكل أداءها، الذي يعني الغرض الاجتماعي الاساسي الذي يحدد الحسابات الاستراتيجية للحكومات.

فعلى عكس الواقعيين، يرى الليبراليون أن الاختلاف في صور توزيع أداء الدولة (وليس توزيع القدرات) أو المؤسسات، كما يجادل أنصار المدرسة المؤسسية–الوظيفية، هو الذي يتسبب في اندلاع الحروب والصراعات بين الدول القومية وغيرها من الفاعلين الدوليين غير الرسميين[2]. فأداء الدولة هو الذي يحدد سلوكها، وليس قدراتها، وذلك بافتراض أن هذه الدول، حتى في ظل تعرضها للتهديد والخطر الموجه لأمنها ولبقائها ومن بعض الأعداء، فإن أداءها هو الذي سيحدد مخرجات وطرق حل وإدارة هذه الصراعات،

---

[1]. *Phil Williams, Donald Goldstein, and Jay Shafritz (eds.): "Classic Readings of International Relations". (Fort Worth; Texas: Harcourt Brace College, 1999), p. 8.*

[2]. *Andrew Moravcsik: "Taking Preferences Seriously: A Liberal Theory of International Politics". International Organization, Vol. 51, No. 4 (Autumn 1997), p. 513.*

بما في ذلك التورط في الاعمال القتالية والحرب؛ فالأداء القوي في هذه الأحوال قد يعوض افتقارها للقدرات والإمكانيات[1].

الليبراليون أيضا عكس الواقعيون في التركيز بالأساس علي كيفية تحاشي ومنع اندلاع الحروب والصراعات المسلحة، كوسيلة لتحقيق القوة والثروة في المجتمع الدولي؛ حيث يؤمن أنصار هذه المدرسة بأن: "نشر الديمقراطية وتعميق الأرتباط والأعتماد الاقتصادي المتبادل وتقوية المؤسسات الدولية، سيحقق السلام والامن الدولي ويمنع اندلاع الحروب"[2].

اختلف الليبراليون في سبل تحقيق هدف أو غايات تقليل الحروب، فمنهم من شدد على دور النظم الوظيفية أو الشبكات الدولية العابرة للقوميات في مجالات العلوم والثقافة، أو العلاقات والارتباطات الاقتصادية، كبدائل محتملة للدول القومية، التي هي المسبب التاريخي الرئيسي للحروب[3]. كما جادل كلا من كيوهان وناي، على أن الاعتماد الاقتصادي المتبادل والمركب، وامكانية تغيير الدول بفاعلين غير اقليميين Nonterritorial (أي لديهم اقليم جغرافي) مثل المنظمات الدولية الحكومية[4]. من ناحية أخرى جادل البعض، بأن اشكال الحكم الديمقراطي يمكن أن تسهم في جعل الحروب غير شائعة بين

---

[1]. المرجع السابق، 524. يعرف البروفيسور آندرو مورافيسك (*Moravcsik*) الاداء على إنه "الاستقلال النسبي عن إستراتيجيات الفاعلين الأخرين، وبالتالي حرية تحديد مسار العلاقات الثنائية مع الأخرين، بما في ذلك المخاطر الخارجية، الغش، التلاعب بالمعلومات وغيرها من التكتيكات". للمزيد أنظر: *Moravcsik, op, cit, p. 519*

[2]. لرؤية شاملة عن المدرسة الليبرالية انظر:

Robert Keohane: "After Hegemony: Cooperation and Disorder in the world Political Economy". (Princeton: New Jersey; Princeton University Press, 1984). Robert Keohane and Judith Goldstein (eds.): "Ideas and Foreign Policy". (Ithaca: New York; Cornell University Press, 1993). Andrew Moravcsik: "The New Liberalism", pp. 234-254, in: Christian Reus-Smit and Duncan Sindal (eds.): "The Oxford Handbook of International Relations". (New York: Oxford University Press, 2008), idem: "Liberal International Relations Theory: A Scientific Assessment", pp. 159-204, in Colin Elman and Miriam Fendius Elman (eds.): "Progress in International Relations Theory: Appraising the Field". (Cambridge; Mass.: MIT Press, 2003).

[3]. *Richard Mansbach, Yale Ferguson, and Donald Lampert: "Towards a New Conceptualization of Global Politics", in: Phil Williams, Donald Goldstein, and Jay Shafritz (eds.): "Classic Readings of International Relations". (Fort Worth; Texas: Harcourt Brace College, 1999), p. 192*

[4]. *Robert Keohane and Joseph Nye: "Power and Interdependence: World Politics in Transition". (New York: Addison Wesley Longman, 1976).*

الدول. ولعل أهم هؤلاء القائلين بذلك هم أنصار نظرية "السلام الديمقراطي"[1]. من خلال أن الجمهوريات الديمقراطية (الليبرالية) سوف تتقارب وتتحد سوياً في ما يشبه الاتحاد العالمي، لحماية حقوقها ونشر السلام داخل حدود هذه الفيدرالية العالمية، بما يقود لتحقيق نبوءة كانط، عما أسماه "السلام الدائم"[2].

تقوم الليبرالية على عدد من الفرضيات الرئيسية. منها ما يقول بأن النظام الدولي يمكن أن يكون مثالياً، وأن الحرب ليست سمة غريزية، وإنما هي نتاج المؤسسات السياسية الغير متكاملة التي تحاول الحضارات المتقدمة القضاء عليها، وعلى ذلك، فإن الحرب يمكن القضاء عليها أو تحجيمها عبر انشاء مؤسسات سياسية كاملة بديلة لها[3]. وتركز هذه الفرضيات على أن الاختلاف في أداء الدول يلعب دوراً مهماً في العلاقات الدولية، وهو ما يوجب التركيز على دراسة منطق العلاقات بين الدولة–المجتمع، لتبيان عملية تشكيلها عن طريق المؤسسات المحلية، أو الاعتماد المتبادل (التحرر الجمركي والتبادل التجاري) أو الافكار عن سيادة المصالح الاقتصادية القومية السياسية والاجتماعية (كالعلاقات بين القوميات والصراعات المسلحة)[4].

لماذا تراجعت الحرب؟

بناء على الفرضيات السابقة، يجادل الليبراليون بأن ظاهرة الحرب يمكن بالتأكيد تجنبها، من خلال التماثل والتقارب البنائي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من جانب، وزيادة وتيرة الاعتماد المتبادل والتبادل التجاري، يزيد من تقريب وجهات نظر الدول، وهو ما يجعلها تغير من سلوكها تجاه بعضها البعض بصورة أكثر ميلا للتعاون والتكتل وتنبذ الحرب والصراعات المسلحة فيما بينها.

ومن ناحية أخرى، يرى الليبراليون كذلك أن المنظمات الدولية وصور الاعتماد المتبادل تعتبر أدوات لا غنى عنها لتحقيق السلام والتعاون الدولي. بل أن بعض كبار

---

[1]. *John Oneal and Bruce Russett: "The Classic Liberals Were Right: Democracy, Interdependence, and Inter- national Conflict, 1950–1985". International Studies Quarterly, Vol. 41, No. 2 (June 1997), pp. 267–293. Peter Wallensteen: "Universalism vs. Particularism: On the Limits of Major Power Order," Journal of Peace Research Vol. 21, No. 3 (September 1984), pp. 243–257.*

[2]. *Meredith Sarkees: "What do we know about War?" pp. 451-477, in: Meredith Sarkees and Frank Whelon Wayman (eds.): "Resort to War 1816-2007". (Washington D. C.: CQ Press, 2010), p. 547.*

[3]. *Phil Williams, Donald Goldstein, and Jay Shafritz (eds.): "Classic Readings of International Relations". (Fort Worth; Texas: Harcourt Brace College, 1999), p. 10.*

[4]. *Moravcsik: "Taking Preferences Seriously ... ", op, cit, p. 514.*

منظري المدرسة الليبرالية (خصوصاً انصار نظريات ليبرالية جزئية Micro–Theory مثل السلام الديمقراطي) يغالون في الربط بين شروط تحقيق السلام، والاستقرار من عدمه (الحرب والسلام) ووجود المنظمات الدولية والاعتماد الاقتصادي والتجاري والقيم الديمقراطية الغربية[1]. فالدول الديمقراطية لا تحارب بعضها البعض بناءاً على قيمها الديمقراطية المشتركة، وخشية منها على مصالحها المشتركة[2].

الديمقراطية:

يشدد غالبية الليبراليين على أن الديمقراطية هي السبب الرئيسي في تراجع وتيرة الحروب بين الدول الديمقراطية والصناعية المتقدمة، وبين غالبية دول العالم في العموم. حيث يفترض الليبراليون بأن الديمقراطية تجعل قادة الدول الديمقراطية، يتوقعون جيدا أنهم يجب أن يكونوا قادرين على حل خلافاتهم مع قادة الدول الديمقراطية الأخري من خلال الوسائل السلمية[3].

وقام بعض المفكرين بمحاولة تطبيق نفس المعايير التي تنتهجها الدول في معاملاتها الداخلية علي نمط تعاملاتها الخارجية. بداية من مساعي ايمانويل كانط لاقامة ما أسماه بـ "مملكة السلام الأبدي"، وصولاً إلى الأطروحة التي وضعها وطورها أنصار نظرية السلام الديمقراطي، والتي تقول بأن عدد الحروب سوف ينخفض بسبب زيادة عدد الديمقراطيات في العالم. من ناحية أخرى يجادل أنصار السلام الديمقراطي ونهاية الحرب بأن الظاهرة الديمقراطية التي تسمى بـ "مناطق السلام Zone of Peace" تعتبر بكل المعايير ظاهرة تاريخية مثيرة، حيث جادل القائلين بها بأنه "إذا ما استمرت تلك العلاقة بين الديمقراطيات والسلام، وإذا ما استمرت الديمقراطيات في الانتشار والتوسع عالمياً، فإن

[1]. *Edward Mansfield and Brain Pollins: "The Study of Interdependence and Conflict: Recent Advances, Questions, and Directions for Future Research". Journal of Conflict Resolution, Vol. 45, No. 6 (December 2001), pp.834-859. Michael Doyle: "Ways of War and Peace: Realism, Liberalism, and Socialism". (New York: Norton, 1997), pp. 280-291.*

[2]. *Kenneth Waltz: "Structure Realism …", op, cit, p. 39. Robert Gilpin: "No One Loves a Political Realist". Security Studies, Vol. 5, No. 3 (Spring 1996), pp. 3-26, idem: "The Richness of the Tradition of Political Realism". International Organization Vol. 38, No. 1 (Winter 1984), pp. 287–304.*

[3]. *William Dixon: "Democracy and the Peaceful Settlement of International Conflict". American Political Science Review, Vol. 88, No. 1 (Mar., 1994), pp. 14-32. John Oneal, Frances Oneal, Zeev Maoz, and Bruce Russett: "The Liberal Peace: Interdependence, Democracy, and International Conflict, 1950-85". Journal of Peace Research, Vol. 33, No. 1 (February 1996), pp. 11-28.*

الحروب ستصبح أقل تواترا في المستقبل مما كانت عليه في الماضي"، وهي أحدى الحجج أو الأطروحات التي قال بها أنصار تيار "النهايات"، وتستند على قاعدة تجريبية قوية[1].

كما قدم الكثير من أتباع المدرسة الليبرالية، أطروحات ودراسات نظرية واحصائية تؤكد الزعم الذي يربط بين الديمقراطية وغياب الحرب؛ حيث جادلوا بأنه لم يكن هناك حروب بين القوى الديمقراطية الدولية منذ ظهور مثل هذه الأنظمة في أوائل القرن التاسع عشر، بل وأدعى بعضهم بأن هناك ما يسمى بـ "الاتحاد السلمي Pacific Union" بين النظم الليبرالية (وليس فقط الديمقراطية، فالليبرالية أكبر نطاقاً من النظم الديمقراطية)، هذه الدول الليبرالية في رأي دويل "لم تتورط أو تدخل في أعمال حرب مع بعضها البعض، أو حتى هددت بها، فهي تعتبرها وسيلة غير شرعية"[2].

ويقول سمول وسينجر في دراستهما، بأنهما قد وجدا في العموم بأن الديمقراطيات مثلها مثل غيرها من النظم السياسية الاوتوقراطية تنخرط في الحروب الدولية، إلا أنهما قد وجدا كذلك أن النظم الديمقراطية لم تتحارب فيما بينها، وارجعا السبب وراء ذلك، إلى عدم مجاورة الديمقراطيات لبعضها البعض خلال الفترة محل الدراسة (1965 - 1816) وهو الأمر الذي قلل من احتمالية وقوع الصراعات المسلحة فيما بينها[3]. وكل هذه الاستنتاجات جعلت سمول وسينجر، يجادلان بأن الديمقراطيات ليست بطبعها ميالة للسلام Peace prone.

وجادل بعض الليبراليين وأنصار السلام الديمقراطي، بأن حالة السلام الدائم هذه كانت موجودة أيضا قبل اكتشاف القنبلة النووية بين القوى الدولية الديمقراطية وغير الديمقراطية أيضا؛ حيث أكدت دراسات عديدة أنه بعد 1816 تراجعت الحروب بين القوى الدولية الصناعية بنسبة الثلث، عن القرون التي سبقتها، وسادت حالة من السلام منذ القرن التاسع عشر (1815- 1854) و(1871- 1914) وأخيراً (1945 حتى الآن)[4].

---

[1]. *Samuel Huntington: "No Exit: The Errors of Endism". The National Interest, No. 17 (Fall 1989), pp. 15-37.*

[2]. *Samuel Huntington: "No Exit: The Errors of Endism". The National Interest, No. 17 (Fall 1989), pp. 15-37. Michael Doyle: "Kant, Liberal Legacies, and Foreign Affairs, Part I". Philosophy and Public Affairs, Vol. 12, No. 3 (Summer, 1983), p. 213.*

[3]. *Melvin Small and J. David Singer: "The War-Proneness of Democratic Regimes, 1816–1965". The Jerusalem , Journal of International Relations, Vol. 1, No. 4 (Summer 1976), p. 67.*

[4]. *Azar Gat: "Is War declining - and Why?" Journal of Peace Research, Vol. 50, No. 2 (March 2013), p. 4.*

الاعتماد المتبادل:

يعرف جوزيف ناي (Nye) الاعتماد المتبادل على أنه "موقف من التأثير المتبادل أو الاعتماد على الآخرين وفيما بينهم Mutual Dependence". وكان ناي وكيوهان (Keohane and Nye) في كتابهما الصادر عام 1977 قد عرفا الاعتماد المتبادل المركب (المعقد) Complex Interdependence بأنه "انخفاض قيمة العلاقات الأمنية والعسكرية، مقابل ارتفاع وتيرة وأهمية العلاقات الاقتصادية والاجتماعية المتعددة في الربط بين دول العالم[1]".

بمعنى أن الليبراليين المؤسسيين يرون العلاقات الاقتصادية والتجارية (والاجتماعية والثقافية كذلك) التي تدعمها وتقويها المنظمات الدولية، بصور من الاعتماد المتبادل مثل: التبادل التجاري وتدفق رؤوس الاموال وفتح الاسواق والغاء القيود والحدود الجمركية... الخ (العولمة) هي التي تؤثر على/في سلوك الوحدات الدولية، وتحدد علاقاتها الخارجية بصورة كبيرة، تدفعها نحو انتهاج سياسات أكثر تعاونية، وبعداً عن الصراع والتقاتل العسكري.

أما بخصوص ظاهرة الحرب وعلاقة ظاهرة الاعتماد المتبادل بها، وبالعلاقة التبادلية بين الظاهرتين، فعلى الرغم من انهماك علماء ومنظري العلاقات الدولية في المدرسة الانجلوساكسونية في دراسة ظواهر مثل الحرب والصراع، السلام والتعاون طوال الحرب الباردة، إلا أن اديبات هذه المدرسة مازالت تعانى من ندرة معرفية في دراسة ماهية العلاقة بين الاعتماد المتبادل، والحروب والصراعات الدولية بشكل أعم[2]. فمازال على علماء العلاقات الدولية والصراع الدولي، محاولة الاجابة عن ثلاثة أسئلة حيوية في سبيل تقديم تفسير وتحليل أكثر وضوحاً حول ماهية العلاقة بين الاعتماد المتبادل، والحرب علي وجه الخصوص، والصراع بصورة عامة، سلبياً كان أو ايجابياً. هذه الاسئلة يحددها عالمي السياسة مانسيفيلد وبولينز (Mansfield and Pollins) في الآتي[3]:

1) ما هي العلاقة بين الصراعات الدولية والاعتماد المتبادل؟ وضرورة اختبار الادعاءات القائلة بوجود علاقة ما بين الظاهرتان.

---

[1]. Bruce Russett and John Oneral: "Triangulating Peace: Democracy, Interdependence, and International Organizations". (New York: W. W. Norton, 2001).

[2]. Mansfield and Pollins: op, cit. pp. 854-855.

[3]. op, cit. p. 855.

2) ما هي العلاقة بين العوامل الدولية والمحلية في التأثير على علاقات الاعتماد المتبادل بين الدول؟ وهل علاقات الاعتماد المتبادل مستقرة ومستمرة مع الزمن، أم أنها مؤقتة ومتغيرة حسب البيئة الدولية والاوضاع الداخلية لكل دولة؟

3) كيف يمكن قياس الاعتماد المتبادل؟ وعلاقته وارتباطه بالصراع الدولي من عدمه؟ وهل يكفى الاتكال على معدلات تدفق التجارة فقط؟

وعلى العكس من رؤية الليبراليين لتأثير الاعتماد المتبادل على تحقيق السلام وتجنب الحروب، يرى الواقعيين أن الاعتماد المتبادل كما يمكن له أن يلعب دور الكابح للصراع، فإنه أيضا يمكن أن يلعب دور المُسرع للحرب[1]. وذلك لعدة أسباب منها: أن زيادة وارتفاع وتيرة الاعتماد والتبادل التجاري سوف تزيد وتوجد انواعاً من النزاعات الاقتصادية، التي سرعان ما ستتحول لصراعات سياسية وعسكرية؛ وبذلك فإن زيادة التبادل التجاري والاعتماد المتبادل، سيؤدي إلى بزوغ صراعات قوى جديدة، بدلاً من تقليلها كما يدعى الليبراليون؛ فالاعتماد المتبادل اصطلاحياً يعني زيادة العلاقات والتفاعلات الثنائية والجماعية وبالتالي زيادة وتيرة الصراعات الغير دائمة (العرضية) Occasional، إن الاوهام الليبرالية، يجادل الواقعيين، عن الاعتماد المتبادل قائمة على ايمان زائف بقدرته على نشر السلام ومنع اندلاع الحروب[2].

ثم أن رأي واقعيين جدد، مثل ميرشايمر وغيلبين يدور حول تغير علاقات القوى السائدة بين الدول نتيجة قابلية تعرض بعضها للايذاء من قبل الآخرين Vulnerability. وهو ما يعد السبب الرئيسي لظهور وبزوغ الصراعات المسلحة (دفاعاً عن النفس، وعن المصالح)؛ حيث يرى ميرشايمر أن زيادة وتيرة التجارة يزيد من اتكال Dependence (وليس اعتماد متبادل) بعض الدول على البعض الآخر، بصورة تغير من طبيعة العلاقات بين الدول وتوازن القوى السائد بينهما، وهو ما يحدو بالدول اللجوء الى استراتيجيات معينة لتخفيف هذا العبء عن كاهلها.

بصورة قد تبدأ بتخفيض العلاقات المتبادلة أو بقطعها نهائياً، أو قد تصل لحد إجبار الدول على قطع هذه العلاقات والتبادل، كما فعلت بريطانيا في القرن التاسع عشر، حينما قامت بغزو بلاد مثل مصر والسودان وغيرها، في سبيل قطع الطريق أمام فرنسا

---

[1]. *Kenneth Waltz: "The Myth of National Interdependence", in Charles Kindleberger (ed.): "The International Corporation". (Cambridge: MA; MIT Press, 1970), pp. 222-223.*

[2]. *John Mearsheimer: "Back to the Future…", op, cit, pp. 8-12. Robert Gilpin: "War and Change in World Politics". (Princeton: New Jersey; Princeton University Press, 1981), pp. 46-68.*

للوصول لمستعمراتها، والاستفادة من مواردها والمواد الخام، وهو الأمر الذي يجعل الاعتماد المتبادل والتبادل التجاري محدود التاثير، ولديه قدرات محدودة في تخفيف وكبح هذه التهديدات، قبل أن تتطور آلياً إلى صراعات مسلحة وحروب[1].

المنظمات الدولية:

يرى الليبراليون أن من أهم الأسباب أو العوامل التي ساهمت في منع اندلاع الحروب، وعززت اتجاه تراجع الحروب بين الأمم هي المنظمات الدولية؛ حيث وجدت بعض الدراسات أن هناك علاقة طردية بين زيادة عدد المنظمات الدولية وانخفاض وتيرة اندلاع الحروب بين الدول[2]، فقد أحصى كيوهان عدد المنظمات الدولية خلال العقود السبعة الأولى من القرن العشرين، فوجدها حوالي 30 منظمة دولية عام 1910، وحوالي 70 منظمة دولية عام 1970، وبحلول العقد الثامن (عقد نهاية الحرب الباردة) وصل عددها لحوالي 1000 منظمة دولية، ومازالت في تزايد مطرد خلال القرن الحادي والعشرين[3]، وأرجع كيوهان هذه الزيادة المفرطة إلى اختلاف نوعية الصراع الدولي؛ طبيعة العلاقات بين القوى الدولية وتغير منظومة القيم السائدة في النظام الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، إلى جانب افلاس النظريات الواقعية وعجزها عن تفسير انغماس الدول الهائل في علاقات التبادل التجاري، والاعتماد المتبادل والتحول الديمقراطي فيما بعد الحرب الباردة، وهو الأمر الذي يجعل الليبرالية لديها فهم أكبر واوسع وأكثر ارتباطاً بالواقع من المداراس الاخرى، وعلى رأسها الواقعية. التي رأى احد كبار الليبراليين الجدد بأنها تشارف على الافلاس النظري[4].

والمقصود بالتنظيم وفقاً لجون ميرشايمر: "نمط سلوكي متعارف عليه، يتوقع من وراءه حدوث تقارب بين أطرافه". هذا النمط السلوكي جعل أغلب الأدبيات الليبرالية تجمع بين مفاهيم متشابهة، مثل أشكال الحكم Regimes والتحرك الجماعي Multilateralism وجعلها مرادفاً للتنظيم. أما المنظمات الدولية International Institution فيعرفها روجيه بأنها "مؤسسات عامة Public Agencies انشأت بجهود وتعاون دولتين أو

---

1. *Mearsheimer: op, cit, p. 12.*
2. *Robert Keohane: "International Institutions ...", op, cit, pp. 81-82.*
3. *ibid.*
4. *John Mearsheimer: "The False Promise of International Institutions". International Security, Vol. 19, No. 3 (Winter 1994/1995), pp.7-9. John Ruggie: "Multilateralism: An Anatomy of an Institution". International Organization, Vol. 46, No. 3 (Summer 199), pp. 560-561. Robert Keohane: "International Institutions: Two Approaches". International Studies Quarterly, Vol. 32, No. 4 (December 1988), pp. 383-385.*

أكثر[1]"، اما المنظمات الدولية عندنا فهي "تلك الاطر التنظيمية التي تجمع العديد من الدول المتفقة فيما بينهما، على عدد من القضايا والأهداف المشتركة، من أجل تحقيق اغراض معينة تعود بالنفع على أعضاءها"[2].

على ذلك فإنه، وطبقا لهذا التعريف، لابد أن يجمع هذه الدول العديد من السمات المشتركة والمصالح المشتركة من أجل انجاح هذه المؤسسة وتدعيمها، ومن جانب آخر، فإن هذه الدول لابد أن تكون مقتنعة بالأغراض والأهداف والجدوى من وراء انغماسها، واقرارها بالدخول في عضوية هذه المنظمات بصورة تخدم مصالحها بصورة نسبية أو كلية، حيث يرى انصار المدرسة الليبرالية الجديدة أن التعاون والاعتماد المتبادل بين الدول، سوف يقلل من احتمالات اندلاع الحروب والصراعات المسلحة لعدة أسباب:

أولا: المصالح المشتركة والمنافع المتوقعة جنيها من وراء التعاون، ثانياً: زيادة وطائد التفاهم ونزع مشاعر عدم الثقة والشك المتبادل عن طريق زيادة التبادل التجاري والاتصال والاعتماد المتبادل. ثالثاً: رضا الدول بالتنازل عن جزء من سلطتها لصالح المنظمات الدولية، أملا في تحقيق السلام والاستقرار بالتعاون مع الدول الأخرى وليس منفرداً Egocentric كما يروج انصار الواقعية الجديدة، وعليه فإن المنظمات الدولية سوف تصبح فاعلاً عابراً للقوميات Supranational Actor أكبر من الدول القومية، واكثر تاثيراً منها على سياق التفاعلات الدولية، بصورة تجعل من النظام الدولي نظاماً مؤسسياً Institutional ذات بيئة تعاونية وجماعية، وليس كما يدعى الواقعيين نظاماً فوضوياً، ذات بيئة تنافسية وفردية.

غير أنه هناك جدل بين الواقعيين الجدد والليبراليين المؤسسين (وغيرهم بالطبع)، حول دور المنظمات الدولية في تجنب الحرب وتحقيق السلام والتعاون والاستقرار الدولي، فبينما يتفق الليبراليين والواقعيين على ضرورة تحقيق السلام والتعاون الدولي وحصد ثماره، فهما يختلفان حول كيفية تحقيق ذلك، وما هو دور المنظمات في تحقيق ذلك؟ وإلى أي مدى تؤثر هذه المنظمات على سلوك الدول[3]؛ وعليه يرى الليبراليون أن المنظمات

---

[1]. *Joseph Nye: "Independence and Interdependence". Foreign Policy, No. 11 (Spring 1976), pp. 131-132. Joseph Nye and Robert Keohane: "Power and Interdependence". Foreign Affairs, Vol. 77, No. 5 (September/October 1998), pp. 81-95.*

[2]. أحمد محمد أبو زيد: "تأثير المؤسسات الدولية في سلوك الدول القومية: دراسة نظرية". المجلة العربية للعلوم السياسية، المجلد 9، العدد 33 (شتاء 2012). صـ: 93.

[3]. *Keohane and Martin: "The Promise of Institutionalist Theory", op, cit, p. 50. John Mearsheimer: "The False Promise…", op, cit, p. 7.*

الدولية، باعتبارها أداةً من أدوات التعاون الدولي، قادرةً على تحقيق السلام والتعاون ومنع اندلاع الحروب ووقوعها بين الدول، عن طريق تغيير سلوك واتجاه الدول القومية ودفعها بعيداً عن الحرب، وذلك عبر "ممارسة التَّاثير على سلوكَ الدول الاعضاء فيها" وتحاشى ونبذ منطق الصراع والتنافس وصراع القوى، وتعظيم حسابات الفائدةُ العائدةُ على الدول ومصالحها ومكانتها من وراء التحرك الجماعي داخل اطار المنظمات الدولية، وفي هذا الصدد يقول كيوهان:

"تخلق المنظمات قدرةُ الدول على التعاون عن طريق المنفعة المتبادلة، وذلك عن طريق تقليل تكاليف صياغة الاتفاقيات، وهو ما يعرف لدى الاقتصاديين بتكاليف الصفقة، حيث تنغمس الدول في عملية فرض مركزي للاتفاقيات، وكذلك فإنها تفرض أيضا مبدأ تبادل الامتيازات، والذي يعتبر محفزاً للحكومات كي تحفظ تعهداتها، وكذلك لباقي الحكومات الأخرى، فحتى القوى الدولية لديها مصلحة، أغلب الاوقات، في اتباع وإطاعة قواعد المنظمات الدولية، بصورةً تجعل من الممكن التنبؤ بسلوكيات الدول[1]".

أخيراً، يقرر الواقعيين أن نجاح أو فشل أي منظمة دولية في منع اندلاع الحروب والصراعات بين الدول، لا يقوم كما يجادل الليبراليون على القيم المشتركة وتماثل النظم السياسية والاجتماعية والقيمية، بقدر ما يقوم حول احتمالية وجود تهديد خارجي لبقاء الدولة من عدمه، وهو ما يجعلها (أي الدول) تلجأ لأسلوب آخر من التعاون، وهو التحالفات العسكرية، وهو ما كان يرفض الليبراليون اعتباره نموذجاً للمنظمات الدولية حتى أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات، بالرغم من أنه يعتبر المثال الاكثر نجاحاً في تاريخ المنظمات الدولية خلال الحرب الباردةُ، ليس لأنه قائم على قيم ليبرالية مثل الاعتماد المتبادل والتبادل التجاري وحرية الاسواق، ولكن لأنه قائم بالأساس على قيم وأفكار واقعية مثل الردع، والاكراه، والحاق الهزيمة بالعدو السوفيتي، الذي كان يهدد بقاء أوروبا الغربية والولايات المتحدةُ.

إن المنظمات الدولية في رأي الواقعيين، بدون أخذها لاعتبارات توازن القوى وطبيعة توزيع القوةُ في النظام الدولي في الحسبان، تظل مجرد أطر تنظيمية وتنسيقية شكلية دون أي تاثير يذكر على سلوك الدول في سعيها نحو تحقيق السلام والتعاون؛ فقد اثبت السجل التاريخي أنه لا يمكن ابداً فصل القوةُ العسكرية، السياسية عن القوةُ

[1]. *Robert Keohane: "International Institutions …", op, cit, p. 86. Richard Ned Lebow: "The Long Peace: The End of the Cold War and the Failure of Realism". International Organization, Vol. 48, No. 2 (Spring 1994), p. 273.*

الاقتصادية على حد قول كلا من مورجانثو وكار، ففي رأي صامويل هانتنجتون فإن النجاح المادي-العسكري لأي قوى دولية، يجعل قيمها الثقافية والايدلوجية جذابة في نظر باقي الاطراف الأخرى وهو ما يحاول الليبراليون نشره في النهاية، وبأن الفشل الاقتصادي والعسكري يؤدى الى أزمات معقدة داخل المجتمعات وعلى كافة المستويات[1].

[1]. *Robert Jervis: "Realism, Neoliberalism, and Cooperation: Understanding the Debate". International Security, Vol. 24, No. 1 (Summer 1999), pp. 42-63.*